أبرز الأحداث الثقافية في فرنسا خلال العام 2019

فنون التشكيل والمسرح والاحتفاء بدافنشي والسجال الفكري

الأحداث الثقافية التي حازت اهتمام الجمهور والمتابعين للشائن الثقافي في العام المنقضي كانت من نصيب الفنون التشكيلية بالدرجة الأولى، منَّ خُلال معرض عالمي عن العبقري الفلورانسي ليوناردو دا فينشي، ورائد العصر الذهبي الإسباني دومينيكوس تيوتوكوبولوس الشهير بالغريكو، ومعرض توت عنخ أمون بمعهد العالم العربي؛ ثم الفن المسرحي بالدرجة الثانية عبر عروض للألماني توماس أوسترماير والبلجيكي إيفو قان هوف والفرنسية باسمينة رضا. ولكن الساحة جللتها أحداث أخرى، فكرية وأدبية، لا تقل عنها أهمية.



أبوبكر العيادى

الأحداث رحيل الفيلسوف الفيلسوف ميشيل سير (1930–2019) واضع السردية الإنسانية الكبرى الذي فرض نفسه كواحد من كبار الفلاسفة في القرن

كان يطمح إلى الإلمام بالمعرفة كلها، ويعتقد أن الفلسفة تجند تلك الوظيفة الإدراكية المجهولة والشاملة التي تسمح بالإحاطة بالواقع في كليّته، إذّ كان مـن الذين يدعون إلـي التقريب بين العلوم والفلسفة، لأن المعرفة الشاملة هى وحدها التي تسمح للإنسان بإعادة النَّظر إلى موقّعه في الكون والتصالح مع الطبيعة. فبعد أن اقترح قراءات حديدة للميثولوجيا والتاريخ والفنون التشكيلية، وأقام جسورا بين العلوم الإنسانية والعلوم الصحيحة، اهتم بالتطورات العلمية والمستحدثات التكنولوجية وأثرها في تغيير سلوك البشسر، مستندا في ذلك إلى تكوينه في الفلسفة والرياضياتّ.

ويعتبر مشروعه الفلسفي عملا تنسيقيا بين جملة المعارف لحعل الإنسان في مركز الكون الذي نشا فيه. فقد لاحظ في كتابه "المتأجج" أن التقاليد التاريخية والفلسفية الغربية أنستنا أصولنا الطبيعية، وأن أصنافنا الذهنية حبستنا في آفاق زمنية قصيرة نسبيا مقارنة بدورات الإنسان والحياة المديدة بشكل سرمدي.



الفيلسوف إدغار موران يروى ذكرباته



توماس بيكيتى وأصول التفاوت الاجتماعي



ميشيل هويلبيك وأزمة الإنسان



ميشيل سير فيلسوفُ سردية الإنسانية الكبرى

ومن ثَـم يدعونا إلى إعادة اكتشاف طيعتنا المدفونة بإعادة قراءة تاريخ البشسر والعالم على ضوء الاكتشافات . العلمية عن بنية الكائن الحيي والكون الفيزيائي، فهي في نظره وسيلة للعودة إلى الزمن المديد الذي تستعمله السرديات الميثولوجية لتمكين الحضارات من تحديد موقعها في العالم. ولذلك اقترح بناء "سردية كبرى تجمع كل العلوم"، يهدف من ورائها

إلىٰ استكشاف تاريخ الكون وإعطاء الإنسان موقعا فيه، فلئن كان للمخ عمر الإنسان الذي يملكه، فإن عمر حمضه النووي يقدّر بمليارات السنين، والذرات التى تكوّنه يرجع عهدها إلىٰ نشوء العالم. سردية كبرى تكون فيها الكتابة قد بدأت قبل الكتابة، ما دامت الطبيعة تترك هي أيضا آثارا تمكن من معرفة تطورها على مر الأزمان، وتحول الإنسان نفسه، فإذا ما استمع إليها صار شاهدا ومعاصرا تقريبا لعناصس لم يعرفها أيّ إنسان من قبل، كمولد الكون، أو ظهور

ثاني تلك الأحداث الفكرية صدور "Retrotopia" الفرنسية لكتاب أو "طوياويــة الردّة" للفيلســوف وعالم الاجتماع البولندي زيغمونت باومان (2017-1925) مبتكر مفهوم "المجتمع السائل"، بيّن فيه كيف أن الارتداد إلى الماضى بات طوباوية عصرنا هذا الذي استشرى فيه وباء النوستالجيا، فقد راج في كل مكان من الأرض تقريبا نوع من التطلع الرجعي، والرغبة في العودة إلى ماض تغلّفه الأساطير في معظمه، كوسيلة مثلى لتجنب مواجهة الأسئلة

ويفسس باومان هذه السردة بكونها ناجمة عن العودة إلىٰ النزعة القبلية التي تتغذى من هشباشية الدولة وتفككها، وتزدهس بفضل التكنولوجيات الحديثة كنكل صغيرة تتنازع فيما بينها، ولا تهتم بإقناع الآخر أو جلبه إلىٰ حظيرتها، لأنها تقوم على مبدأ التناظر بين "هم" و "نحن"، فَخلقت بذلك إنسانا ذا وجهين مثل الإله يانوس في الميثولوجيا

وفي حركة تراجع عام، بات الفرد منكفئا على ذاته، فشكل ما أسماه باومان "الإنســان الســيكولوجي"، كأخــر إن للفردانية البورجوازية مثّل مونادة (كائن أحادى الخلية) مرتابة، تضع نفسها بين أيدي علماء النفس ودكاترة "العيش

وفى رأيه أن الفردانية المفرطة أردت الطوباويات المشتركة إلى الحضيض، وبتنا نعيش حريا تغذيها خشبية العجز التي تستبد بالأفراد المعاصرين، الذين تحرّروا من الوصاية ثـم بقوا معزولين. فالمستقبل، الذي كان البيئة الطبيعية للآمال والانتظارات المشروعة، صار وعاء تلقىٰ فيه كل المخاوف، ولا سيما الخوف من البطالة والانحدار الاجتماعي للفرد ولأبنائه من بعده، بسبب اقتصاد يقوم علئ المنافسة الشرسة ويضع العمل ورأس المال في يد واحدة، راميًا بمن لا يملك هنذا أو ذاك في درك

الما يعيد البشر إلى الوضع الذي صوّره هوبز في "ليفياتان"، حين تغدو الأرض مسرح حرب دون قوة عليا تحد من تنافس البشر. وذلك لأن العولمة أحدثت فصلا بين القوة والسياسي، جعل الدول "أشبه بجاليات متجاورة داخل حدود مثقوية".

وإذا كان باومان يعتقد أن ليس أمامنا غير الأخذ بأسباب الحداثة، وتعميقها بتكملة التصور الكوسموبوليتي الذي نحن عليه بوعى كوسـموبوليتى حقيقى ينظر بفضله الإنسان نظرة شاملة إلى مستقبل البشرية قاطبة، ويسعى لتحقيق حتى ما يبدو الآن من الطوباويات، فإن عالم الاقتصاد الفرنسي توما بيكيتي النذى أثنار جدلا واستعاعلني الصعيد الدولي بكتابه الأول "رأس المال في

القرن الحادي والعشــرين" الذي بيع منه نحو مليونين ونصف مليون نسخة، عاد إلى الصدارة هذا العام بكتاب جديد عنوانـه "رأس المـال والأيديولوجيـا" يدعو فيه هو أيضا إلى إعادة النظر في الكوسسموبوليتية الجديدة التى ولدتها العولمة، والبحث في جذور التفاوت

> الاجتماعي والاقتصادي، ويبيّن كيف أن المحتمعات البشسرية تحتساج إلى تبرير التفاوت الذي ينظمها، وتوفر أسبابه لمنع انهيار البناء السياسي والمجتمعي. ف_، هذا الكتاب، الذيّ يمسـح 1232 صفحة، سعى بيكيتي إلى تتبع المسار

الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي الذي عرفته الأنظمة التى أقرت الاسترقاق والتفاوت، أي تلك التي تقسّم النشاط الإنساني إللى ثلاث وظائف توافق المجالات الثلاث أي الديني والحربي والاقتصادي، وفقاً للنظرية التي وضعها الفرنسي جورج دوميزيل، منذ الأنظمة الهندوأوروبية إلى الأنظمة ما بعد الكولونيالية والرأسمالية المعاصرة، مرورا بالمجتمعات المالكة والكولونيالية والشيوعية

> والاشتراكية الديمقراطية. متنادا إلىٰ دروس التاريخ في شهموليته، يعتقد بيكيتي أن في الإمكان أن نقطع مع تلك

الحتمية التي كانت سببا في الانحرافات الهووية الحالية، لوضع اشتراكية تشاركية للقرن الحادي والعشرين، ورسم خطوط أفق مساواة جديد ذي بعد كوني، وصياغة أيديولوجيا جديدة للمساوآة والملكية الاجتماعية والتربية وتقاسم المعارف والسلطات.

آخر هـذه الأحداث، على المسـتوى الفكري، صدور مذكرات الفيلسوف وعالم الاجتماع إدغار موران بعنوان "الذكريات تأتى للقائى"، لــم يتبع فيها نســقا كرونولوجيا، ولا ثيميا، وإنما دونها كما تتوارد الخواطر لديه. هذا الرجل الذي لم تمنعه أعوامه الثامنة والتسعون من مواصلة إلقاء المحاضرات وإثراء النقاش في المسائل الحارقة، والاستحابة لمحاورة وسائل الإعلام

والكتابة بنفس العمق الذي عرفناه عليه، وكأنه لم يتخلص من إهاب المثقف اليساري الذي يناضل على شتى الجبهات.

فقد بدأ حياته مقاتلا في صفوف الجمهوريين خلال الحرب الإسبانية، ثم التحق بالحرب الشيوعي الفرنسي، وانسلخ منه منذ مطلع الخمسينات بعد أن تبدت له طبيعة المنظومة الاشتراكية، وحمل السلاح ضد الاحتلال النازي، وأسس مجلة "ذرائع" وأخيرا انخرطفي المعركة الإيكولوجية لإيمانه بأن أكبر مشكل يواجه البشرية

هـو مصيرهـا ومصيـر كوكبها، وهي أزمــة عالمية تجد جذورها فــي براديغم حضاري بني على الفردانية والجشع والتنافس والاستهلاك المفرط والإقصاء

ورغم اعتراف الجميع بإسهامه في إثراء حقل علم الاجتماع، بعد التحفظ الذي واجه به زملاؤه ستعيّه إلى الربط

THOMAS فالمفارقة أن العملين اللذين والإعلاميين لم يتوّجها بإحدى كل عام. أولهما روايــة "ظمأ" للبلجيكية أميلي نوتومب التي تعتبر ظاهرة في حد ذاتها، حتى IDÉOLOGI أن الفرنسيين يقولون إن ثمة حدثین فی خریف کل عام، جنی إلى القائمة القصيرة التي لم تبلغها قط طوال مسلم تنا الأدبية، فإنها لم تنل رضا أكاديمية غونكور، ربما لحساسية

باطني من وضعها، في الساعات الأخيرة التي سبقت عملية صلبه ودفنه (حسب

> المعرفة الشاملة هي وحدها التى تسمح للإنسان بإعادة النظر إلى موقعه في الكون والتصالح مع الطبيعة

ينتظره، واحتماله تاجَ الشَّـوك والجَلْد وثقل الصليب الخشببي Michel Houellebecq Sérotonine

Höuellebec

على كاهله وستقوطه أكثر من مرة، وإحساسه باختراق المسامير لحمّه، وبالظمأ الشديد قبل الموت؛ بل ناقشت ما تتصور أنه اعتمل بذهنه في تلك اللحظة وهو يتوجه إلى "أبيه الذي في السماواتِ" بلوم غير خاف "هذاً الصَّلْبُ زِلَّة... لمَّ فعلتْ هذا؟... هل قلتُ إني لا أحبّـك؟... أنا أعاتبك، أنا مستاء منك. الحبّ يسمح بمثل هذه المشاعر. ماذا تعرف عن الحبِّ؟ هنا المشكلة. أنت لا تعرف الحبّ. الحب حكاية. لا بدّ

بين حقول معرفية كثيرة من خلال نظريته

عن الفكر المركب، فإن موران يقول

بتواضعه المعهود إنه لم يبتكر شبيئا،

وإن كل ما ألفه متأت من جهة ما من جهات

هـذا العالم في تنوعه وثرائـه. فهو من

المفكرين القلائك الذين تنقلوا في أرجاء

المعمورة، لا سيما في أميركا الجنوبية،

حسث كانت له بأهلها صلات، وألقى في

اعترافا بجليل أعماله.

جامعاتها محاضرات، وحاز من

بضعها شهادات دكتوراه فخرية،

أما على المستوى الأدبى،

استأثرا باهتمام النقاد

الجوائر الكبرى التي تسند

العنب، ورواية جديدة لنوتومب.

ورغـم أن روايتهـا الأخيرة

تصدرت منذ نشرها قائمة

الكتب الأكثر مبيعا، ودخلت

فقد تجرأت علىٰ تناول ما عاناه

عيسىٰ المسيح، علىٰ لسانه، في حوار

العقيدة المسيحية)، بدعوى تأمل فكري

في معنى أن يكون للمرء جسد. وقد

عـآب عليها عـدد من النقـاد والمؤرخين

وحتئ القراء ابتعادها عن نصوص

العهد الجديد، خصوصا ما أوردته عن

علاقة الحب بين السيد المسيح ومريم المجدلية. ولا تكتفي الكاتبة بتصوير

"آلام المسيح"، من سماعه تهمًا وجّهها

إليه بعض من تنكروا لمعجزاته بدعوى

أنها لم تغير شيئا في حياتهم،

وخوفه من حكم الإعدام الذي

من جسد کي يرويها". وأيا ما تكن دوافع لجنة غونكور، فقد استبعدت نوتومب من الفوز، وأستندت جائزتها إلىٰ جان بول دوبوا عن روايته "كل الرجال لا يستوطنون العالم بالطريقة

استنادا إلى دروس التاريخ في شموليته، يعتقد بيكيتي أن في الإمكان أن نقطع مع تلك الحتمية التي كانت سببا في الانحرافات الهووية الحالية، لوضع اشتراكية تشاركية للقرن الحادي والعشرين

زيغموند باومان يحلل طوباوية الزدة

وأمسا العمسل الثانسي الذي استأثر

بالنقد والتعليق وحتى التشويق قبل

صدوره، فهو الرواية السابعة للفرنسي

ميشيل هويلبيك، الذي يرى فيه النقد

الفرنسى كاتبا حقيقيا يملك رؤسة

شاملة عن الراهن وقدرة على استشراف

المستقبل، رغم أن عوالمه سوداوية على

الدوام، وأبطاله، مثله، يعيشون على حافة

الانهيار العصبى، أجهضت الليبرالية

المنتصرة أحلامهم، وأخمدت شعلة

الحب في صدورهم، وتكسرت أمالهم على

صخرة الصمت الرباني.

نفسها"، التي لم تُحظُ بما حظيت به

رواية الكاتبة البلحبكية.

"سيروتونين" عن سابقاتها، فبطلها فلوران كلود لابروست يحمل نفس الرؤيـة الانهزاميـة، وهـو يـرى هـوة الجرع الوجودي تنفتح تحت قدميه، ويسكنه الاكتئاب الشبيه بذلك الملل الذي يصيب الرهبان فيعافون العبادة، وينتابه إحساس بأن عمره، وهو لم يتعدّ السادسة والأربعين، يمضى إلىٰ نهایته، فیکون مثل حیوان مصاب يبحث عن ملاذ آمن ينهى فيه حياته، يهجر بيته وعشيقته اليابآنية ويلوذ بشقة عابسة ليعيش على حبوب كابتوريكس، المركبة أساسا من مادة الـ"سيروتونين" كى يغالب الانهيار العصبي الذي ألمّ به.

عندما يبلغ هـذا الحدِّ من التشاؤم يشسرع في سسرد اعترافاته، فنعلم أنه موظف بـوزارة الفلاحة، يعدّ لها مذكرات وتقارير يستعين به كبار المسؤولين في المفاوضات الأوروبية، يشرب بشراهة، ويدخن بنهم، ويحلم بالفتيات الحسان كلما خلا إلىٰ نفسه، ويحطم كاشفات الدخان في الفنادق، ولا ينتقي مهملاته، يعيش في المدينة ويهوى التجول في

والرواية في مجملها غوص في نفسية هذا البطل السلبي، للوقوف على الآثار الوخيمة التي تخلفها في النفوس سياسة التنمية التي لا تعرف نهاية حسب الأنموذج الليبرالي.

أما عن الحضور العربي، فنكتفى بالإشسارة إلى تكريم الأكاديمية الفرنسية ثلة من المبدعين العرب أمثال طاهر البكري وفوزية الـزواري وهالة الباجي، عن دورهم في "نشر اللغة الفرنسية والإسهام في إشعاعها".